

فوائد لغوية

عشرات الاقلام

Notes lexicographiques.

كل ناطق بالضاء يعرف ما « لغة الجميع العالمي العربي » من المقام الرفيع وما لها من الأيادي البيضاء على ترقية هذه اللغة الشريفة. وتقرطنا لها لا يزيد. شرفا كما ان سكرتنا عن ذكرها لا يحيط من قدرها قيد شعرة. وهي تعقد فصلا تدرج فيه ما يوجب على أبناء عدنان من اصلاحيه من الغلط الذي ينسل اليهم من بعض صغفة الكتاب او من المؤلفين الاعاجم. ولو لم يكن لها إلا هذه المزية لكفاهها شرفا وخدمة وتخليدا لاسمها.

ألا أنا نرى في بعض الاحيان انها تجزم في امور كنا نود ان تصدر الحكم فيها بصورة غير قاطعة، بل ببعض التحفظ. ونحن نورد مثالا لذلك :

طاف يطوف

قالت المجلة في ص ٣٠٨ من هذا المجلد السادس : « ومنها (اي من عشرات الاقلام) قولهم : (وقد طاف جسده على وجه الماء) يريدون ظهر على سطح الماء بعد ان كان راسيا في قعره . وصوابه « طفا » . وسمي « الرمث » طوقا لانه يستقل على سطح الماء من مكان الى آخر . لالا انه يطفو على سطحه » الا قلنا هذا رأي لكن الرأي القائل بانهم من طفا يطفو رأي وجيه لا يحتقر والدليل انهم قالوا في معناه : العامة . وهذه مشتقة من عام يعوم اي ماج يعوج او شبح يسبح على وجه الماء . كما ان طاف يطوف مقلوب طفا يطفو. وورود هذا القلب في اللغة قديم . قل في التاج : سميت « الطائف » لانها طافت [ولم يقل طفت] على الماء في الطوفان . وكيف يمكن اشتقاق للطائف من طفا ؟ اليس من الواضح انه يذهب الى انها من طاف يطوف بالمعنى الذي اشار اليه المجمع. ولهذا كنا نود ان يقول المحقق في مكان : « وصوابه » : « والاحسن » حتى تعلمن النفس بعض الاطمئنان

وفي معرض الكلام عن مادة طوف يقول الكاتب اسعد خليل داغر في كتابه « تذكرة الكاتب » ص ٧٧ في الرقم المعلم بـ ١٦١ : ويقولون « الى ان يطوف على قبائل العرب مستجديا الصدقات » فيعدون الفعل طاف بعل . وفي اللغة طاف حول الشيء وبالشئ . وطوف واستطاف : دار حوله وطاف في البلاد . وطوف : جال وسار . اما تعديتهم بعل فلم تسمع عن العرب . ا

قلنا : لله دره من محقق . وطاف على قبائل العرب شيء . وطاف حول القبائل وبقبائل العرب شيء آخر . وطاف على قبائل العرب سمع وهو اشهر من ان يذكر واما طاف حولها وطاف بها . فلم يقل عن احد .

نعم ان كلا منهما يرى في كتب اللغة لكن لايمعنى ما يريد الكاتب الاول من قوله : طاف على قبائل العرب . اما انه لم يسمع فيكتبه ما جاء في سورة القلم : « فطاف عليها طائف من ربك وهم نائمون » وآية اخرى وردت في سورة الواقعة وهي : « يطوف عليهم ولدان مخلدون » وثالثة وردت في سورة الطور : « ويطوف عليهم غلمان لهم كأنهم لؤلؤ مكنون » وهناك آية رابعة وردت في سورة الانسان وهي : « ويطوف عليهم ولدان مخلدون اذا رأيتهم حسبتهم لؤلؤا منثورا » واظن اني في مندوحة عن ذكر اقوال اخرى بهذه الآيات .

فاين بقي تحقيق الصديق المحبوب ؟ وكتابك كله يا ايها العزيز على مثل هذا الوجه من التحقيق والتدقيق والتصويب والتخطئة : الى ما تشاء من الالفاظ المترادفة والمتضادة .

فويق ناقة

وقالت المجلة ايضا اما « فويق » في قولهم [مكثنا مع الاخوان فويق ناقة] فنحن لانعتبر قولهم فويق ناقة من الامثال : بل من الاقوال السائرة مسير الامثال ولهذا لانرى مانما من اعتبار « فويق ناقة » بتصغير قواق من القلط .

اركن

وقال المجمع (٦ : ٣٠٩) : لم يرد « اركن » رباعيا . وقد ذكر صاحب محيط المحيط « اركن » في معجمه وتبعه على (كذا) ذلك صاحب اقرب الموارد

والمُتَجِدِّ. وقد راجعنا الناج واللسان والصحاح والأساس وغيرها من أمهات كتب اللغة فلم نجدهم ذكروا «أركان» إلا

قلنا : علم ورود هذه اللفظة في دواوين اللغة لا ينفي وجودها . اذ لغتنا أوسع من أن تضمها ذواتها . فجمع ذهبي بحر لحي لا قرار له . وقد وردت في سورة هود في قراءة : ولا تركنوا إلى الذين ظلموا . قال صاحب الكشاف (٦١٥:١) وقرأ ابن أبي عمير : ولا تركنوا على البناء للمفعول من أركنه إذا أماله . والذهبي متناول للانحطاط في هواهم . . . وتأويل قوله : ولا تركنوا فإن الركون هو الميل اليسير . وهذا نص صريح على وجوده : فلا يمكن إنكاره : لكن اشفق من أن يكون الجمع اعتمد على كتاب «تذكرة الكاتب» للصدوق الودود اسم خليل داغر القائل (في ص ١٢٦ وفي الرقم ٣٣٧) : ويقولون : «فاركن الجيش كله إلى الفرار . والصواب ركن» فكان من الوهم ما كان . وقد كنت قد نهيت الأدباء سابقا على أن تذكرة الكاتب قد اخطأت في تصويباتها أكثر مما اصمت . (يقال : أصبى الصائد الصيد : إذا رماه فقتله مكانه وهو يراه وصدقنا لم يجد بيندقة تصحيحه شيئا يذكر إلا أننا نمدح غيرته على العربية) .

الزردقة

ونضم إلى هذا البحث ما حققناه قبل ٢٥ سنة من أمر الزرطقة . فهذه اللفظة وردت مصحفة بوجود مختلفة لجهل الكتاب صاحبها : فقد وردت بصورة زردقة وزرطقة كما جاء في مجلة الجمع (٣٢٢:٦) ووردت بصورة زرطقة [أي بقاء منقطة بواحدة] في نسخة كشف الظنون المطبوعة في ديار الأفرنج . وهي قراءة مخطوطة بلا أدنى شك . وهكذا أوردها صاحب محيط المحيط بحر الأغلاط والأوهام نقلا عن فريتاغ مفسد لغتنا وإن لم يصرح البستاني بنقله عنه . وفريتاغ يقول وجنبا بهذه الصورة في ديوان جرير وهذا الديوان ليس بيدي وقت كتابة هذا السطور لا تثبت الأمر .

وعندي أن هذا الروايات كلها غلط . والصواب زرطقة أي بتقديم الراء على الزاي لكن هذه اللغة الحقيقية الصحيحة محمولة . واللغة المخلوطة هي المعروفة والشائعة وليس ذلك بغريب فإن السلف كثيرا ما جمع بين اللغتين كلما جاورت الزاي الراء .

من ذلك ناقة، ضمزر، وضمزر، وضمارز وضمازر (راجع المزهري ١ : ٢٣٠ من طبعة بولاق) : مزرابومرزاب (المغويون) . ويقال سمعت رزقا القوم وزرعا القوم اذا سمعت اصواتهم : بتة - ديم الرء على الزاي [المزهري ٢ : ٢٦١] الى غير هذه المثل .

وقد قال في المذكرة [١] : رأى النبطي وقسطوس وابن العوام وكثير من الروم ضم الحيوان الى كتب الفلاحة وسموا المجدوع « زردقة » [٢] حتى اشتل ادهم والغطريف وسومارس وارجانس بإفراة .

فهذا كلام نفيس يدلنا على اصل الكلمة وانها رومية | اي لائنية لان هذه اللغة كانت لسان اهل روميا ومنها لغة رومية | وهي عندي Res rustice اي اشغال حقلية ثم خصت الكلمة بكل ما يتعلق باشغال الحراثة علما ونظرا ككتفا، النباتات وتوطيئها وخلقة النباتات والحيوانات والعناية بها وصنعها وتربية سمك البحر والنهر والبحث عن انواع الاسماك . والخلاصة الزردقة او الزرطقة هي الزرطقة اي هي ما تسمى اليوم اغرونومية agronomie وباللاتينية Res rustice وعليه يسمى المشتغل بها زرطقي اي agronome كما قالو يعطري ان يزاول البيطرة .

ولقد بلغت اليوم الزرطقة مبلغا بعيدا في التوسع في غاياتها . من ذلك ان اهل هذه الصناعة اقاموا ما يسمونه « مواقف الزرطقة » وهي معاهد يعنى فيها بانواع البحث عن جميع المسائل التي تتعلق بالزراعة والحراثة والفلاحة كتخير البزور وتربية المواشي ومعرفة الحيوانات والحشرات المضررة والنافعة وتربية دود القز والنحل ومحاربة ما يعادها والبحث عن تركيب الارضين واختيار

(١) المذكرة من كتب الاقدمين كان عندي منها نسخة خطية وهي تبحث عن البيطرة والزرطقة وسرقت مني قبل سقوط بغداد بخمسة ايام . ومن اشد البلايا انها احترقت في التنوير مع كتب اخرى خطية عديدة كانت خزانة . وكنت قد انتقيت من المذكرة طائفة من الكلام ادخلتها في معجمي العربي ومن جملتها هذه الكلمة .

(٢) ومن صف هذه الكلمة نقلا عن فريتاغ فرميرسكي في معجمه العربي الفرنسي . قال في ماد: زرطقة (بالغاء) ما مثاه : فن ركوب الخيل وسيلاتها وصنعها مع ان فريتاغ لم يقل اكثر من هتين الكلمتين : الزرطقة : سياسة الخيل [نقلا عن ديوان جرير] .

الآلات على اختلاف أعمالها ومنافعها وفحص ما ينمي اتاء الأشجار والبحث عن الحمائر وصنع الجبن وتكثير بيض الدجاج وسائر الطير الى غير هذه الشؤون .

والذي يسمي بترقية هذا « المواقف » اهل الحكومة او الاقضية والبلديات واذا ادخلت هذه الاقضية « مواقف الزردقة » تساعد الدولة بموجب احتياجها الى المال او بالنظر الى الغايات التي تقوم بالسعي الى بلوغها او الى الغايات التي تنوخواها .

هذا مجمل ما يقال في هذا المعنى ومن اراد التوسع فعليه بكتب الاقربح المصنفة في هذا الموضوع الجليل بالاسم الذي ذكرناه .

اصل الميم في الاسماء المشتقة

كثيرا ما نقول « هذا الشيء معروف » وذاك الرجل معترف بذنبه . والذنب معترف به (بالمجهول) وفي بلادنا مدارس كثيرة تدعى بالمصحف الذي بيدك حسن « الى غير هذه الالفاظ المشتقة التي تقاس في ابواب اسم الفاعل والمفعول والصفة المشبهة والمكان والزمان والآلة . فمن اين جاء هذا الميم ؟

الميم على ما تتبعته مقطوع من كلمة (من) الذي في الاسماء الموصولة الدالة على العاقل — واصل النون را . وابدلت منها لانشاء صورة معنى جديد لفكر جديد . فاصل (من) : (مرء) اي رجل واللاتين يقولون مر اي mar, maris ويريدون به المرء كما في العربية والانكليز يقولون « من » كما في العربية ويعنون به الرجل او المرء . فاللغات اذا في هذا اللفظ تكاد تتشابه كلها معنى ومعنى .

ثم ان العرب ميزوا لفظ العاقل عن غير العاقل . نصيروا النون الاخيرة الفا وخصوا لفظ (ما) بما لا يعقل من الكائنات . فيقولون مثلا : رأيت ما احزن نفسي . ويريدون بذلك الشيء الذي احزنها . ويقولون : رأيت من احزن نفسي ويريدون به رجلا يعقل احزن نفسه .

فاذا علمت هذا . فالميم التي ترى في الاسماء المشتقة هي في الاصل مقطوعة من (من) للعاقل ومن (ما) لغير العاقل . فاذا قلت هذا الرجل معروف

اي (من) يعرف (بالمجهول) وان قلت هذا كلام « روف » فعنناه (ما) يعرف (بالمجهول) .

وكذا القول في سائر المشتقات، وعليه اذا سئلت ما اصل كلمة (مكنسة) قلت : (ما) تكنس ، اي انشيء الذي يكنس ، ان نسبت الفعل الى الالة كما هو معهود ، وان اردت نسبة الفعل الى الرجل الذي يستخدم الالة قلت معناها (ما) يكنس بها الرجل ،

وهكذا قس سائر المشتقات المبتدئة بالميم المذكورة .

أتجمع ميل على اميال ام على ميول ؟

يكثر المصريون من جمع الميل (بفتح الميم بمعنى الهوى او ما يقاربه معنى) على ميول ، جريا على ان فعلا المفتوح لا يجمع إلا على فعول . وما ورد منه على افعال نادر لا يعتمد به — على ان المستعري لالفاظ اللغة في المعاجم يجد مجيء فعل مجموعا على افعال اكثر من تحييه على فعول .

والميل بمعنى الاميال لم ترد في كلام فصيح او مولد فصيح بخلاف الاميال . فقد قال نعمة الله بن علي بن عرام (راجع معجم الادباء لياقوت الحموي ٧ : ٢٤٩) :

نميل مع « الاميال » وهي ضرور ونصفي لدعراها وذلك زور
فهل للكتاب المصريين نص قديم او مولد فصيح ورد فيه الميل مجموعا على
ميول ؟ فليذكروا لنا لنكون لهم من اخلاص الشاكرين .

وزن فعول المفتوح الاول

قال الجوهري عند كلامه عن اليعسوب : « اليا ، فيه زائدة لانه ليس في الكلام فعول (المفتوح الاول) غير صغوق » الا ونقل هذا الكلام جميع اللغويين الذين جاؤوا بعدا ، وهو عندنا حديث خرافة ، فقد ورد في كلامهم غير صغوق مثل : الكرصوص (عن التاج) والصندوق (على لغة) والسحنون (في رواية) والقرقوف (الاسان) والطرخون (عنه وعن القاموس) والبرشوم (يروي بضم اوله وفتح هـ . عن اللغويين) وذلك غير هذه الالفاظ فليصحح كلام صاحب الصحاح ومن اتبعه .